



الفوضوية في فلسفة العلم عند بول فيرابند

Anarchism in Paul Feyerabend's Philosophy of Science

م.م. نوزاد عبدالله محمد سعيد وزارة التربية/ مديرية تربية نينوى - العراق

sdgtgjh@gmail.com

تاريخ النشر: 14 / 05 / 2026	تاريخ القبول: 2026 / 01 / 27	تاريخ الإرسال: 2026/01/21
-----------------------------	------------------------------	---------------------------

الملخص

يتناول هذا البحث فلسفة العلم عند بول فيرابند، مع التركيز على مفهوم الفوضوية بوصفها موقفاً نقدياً جذرياً من المناهج العلمية التقليدية التي تفترض وجود قواعد ثابتة ومعايير عقلانية مطلقة تحكم المعرفة العلمية. ويسعى البحث إلى توسيع الأسس الفكرية التي انطلق منها بول فيرابند في رفضه لفكرة المنهج العلمي الواحد، ودعوته إلى التعددية المنهجية باعتبارها شرطاً ضرورياً لتحقيق التقدم العلمي والإبداع المعرفي، كما يناقش البحث نقد فيرابند للعقلانية التجريبية والعقلانية النقدية، خاصة فيما يتعلق بالتمييز بين سياقي الكشف والتبرير، مبيناً بأن هذا الفصل لا يعكس الطبيعة الفعلية للممارسة العلمية، كما يبرز البحث تصوّر فيرابند للعلم بوصفه نشاطاً إنسانياً وتاريخياً وثقافياً، لا يمكن فصله عن بقية أنماط المعرفة الإنسانية، ويخلص البحث إلى أن الفوضوية لا تعني الفوضى أو إنكار العلم، بل تمثل دعوة إلى التحرر المعرفي والانفتاح على تنوع المناهج والبدائل الفكرية.

الكلمات المفتاحية: فلسفة العلم، بول فيرابند، الفوضوية، التعددية المنهجية، نقد العقلانية.

Abstract

This research examines Paul Feyerabend's philosophy of science, focusing on the concept of anarchism as a radical critical stance toward traditional scientific methodologies that assume fixed rules and absolute rational standards. The study aims to clarify the intellectual foundations of Feyerabend's rejection of the idea of a single scientific method and his advocacy of methodological pluralism as a necessary condition for scientific progress and creative inquiry. It also discusses his critique of logical positivism and critical rationalism, particularly regarding the distinction between the context of discovery and the context of justification, arguing that such a separation fails to reflect actual scientific practice. Furthermore, the research highlights Feyerabend's view of science as a human, historical, and culturally situated activity that cannot be isolated from other forms of human knowledge. The study concludes that epistemological anarchism does not imply chaos or hostility toward science, but rather calls for intellectual freedom and openness to diverse methods and alternative perspectives.

Keywords: Philosophy of Science, Paul Feyerabend, Anarchism, Methodological Pluralism, Critique of Rationalism.



المقدمة

تعد فلسفة العلم من المجالات الفلسفية التي شهدت تطوراً جذرياً في القرن العشرين، إذ تحولت من مجال يرتبط بالمبادئ الثابتة والنظريات المطلقة إلى مجال يتسم بالتنوع الفكري والمنهجي، يمثل بول فيرابند أحد أبرز الفلاسفة الذين أسهموا في هذه النقلة النوعية، من خلال نقده الحاد للمناهج التقليدية ودعوته إلى التعددية المنهجية والأناركية الإبستمولوجية، فيرابند لم يكتفِ بنقد المنهج العلمي السائد بل دعا إلى إعادة صياغة دور العلم في المجتمع من خلال التحرر من القيود التقليدية والانفتاح على التعدد والتنوع.

وتبرز أهمية البحث في تقديم فهم متعمق لفلسفة بول فيرابند، التي تعد نقطة تحول في فلسفة العلم الحديث، من خلال تحليل أفكاره، يمكن استجلاء حدود العقلانية العلمية ودورها في تحقيق التقدم العلمي، كما أن البحث يلقي الضوء على العلاقة بين التعددية المنهجية والفوضوية الإبستمولوجية، وكيفية تأثيرهما على تشكيل منهجيات البحث العلمي في مختلف المجالات.

ويهدف البحث إلى تحليل مفهوم الفوضوية في فلسفة العلم عند بول فيرابند، وبيان نقده للمناهج العقلانية العلمية التقليدية، مع إبراز دور التعددية المنهجية في إعادة فهم طبيعة العلم بوصفه نشاطاً إنسانياً وتاريخياً متغيراً.

وتكمن مشكلة البحث في التناقض الظاهري بين العقلانية العلمية بوصفها وسيلة للوصول إلى الحقيقة، وبين الفوضوية العلمية التي اقترحها فيرابند كمقاربة بديلة، ويمكن صياغة أسئلة البحث بما يلي: كيف يمكن لفلسفة تعتمد على رفض الأسس التقليدية أن تقدم إسهاماً في تطوير العلم؟ وما مدى تأثير هذه الفلسفة على الممارسة العلمية والمنهجية البحثية في العصر الحديث؟

ويعتمد البحث على المنهج التحليلي النقدي لدراسة أفكار بول فيرابند، من خلال تحليل نصوصه الأساسية في مؤلفاته، إضافة إلى ذلك، يستند البحث إلى المنهج التاريخي لتتبع تطور فلسفة العلم وتأثير فيرابند عليها.

أولاً: مرتكزات فلسفة العلم عند بول فيرابند

1. مفهوم العلم عند فيرابند

يرى فيرابند * بأن بعض الافتراضات الشائعة والأساسية جداً في العلم ليست صحيحة على نحو بديهي كما يتصور، كما أن أجزاء مهمة من الأيديولوجية العلمية قد تشكلت استناداً إلى تعميمات سطحية، أفضت إلى إنتاج مفاهيم مُضللة

* بول فيرابند - Paul Feyerabend (1924-1994)م: فيلسوف نمساوي بارز في فلسفة العلم. وُلد في فيينا، وتلقى تعليمه في جامعة فيينا، ثم أصبح فيلسوفاً للعلم متأثراً بأفكار كارل بوبر. خلال مسيرته الأكاديمية درّس في عدد من الجامعات، قبل أن يصبح أستاذاً فخرياً في جامعة بيركلي. عُرف فيرابند بتشكيكه الشديد في عقلانية العلم، إذ كان يرى أن نجاح العلماء لا يعود إلى



وغريبة عن طبيعة الحياة الإنسانية، يُضاف إلى ذلك أن العلم النظري، بعيداً عن الإنخراط الفعلي في معالجة المشكلات الضاغطة في عصرنا، كالحرب والفقر، يميل إلى تعظيم عموميات مؤقتة بدلاً من مواجهة الجزئيات الواقعية التي تمنح الحياة معناها وقيمتها؛ ذلك أن موضوعية العلم وادعائه للعمومية يقومان أساساً على التجريد، وهو ما ينطوي على كلفة معرفية وإنسانية باهظة؛ إذ يؤدي هذا التجريد إلى فصل الأفكار عن الخبرات المباشرة، بما يفضي في النهاية إلى إضعاف كل منهما. ومن هنا فإن المنظرين . على خلاف الممارسين . غالباً ما يميلون إلى فرض نوع من الهيمنة المعرفية عبر توظيف مفاهيم مجردة تقصي الخبرة الذاتية، وهي الخبرة التي تمنح الحياة معناها الإنساني الأصيل. (فيرابند، 1438هـ، ص23).

وحاول فيرابند أن يقف وقفة تصحيحية ونقدية من مفهوم العلم، ففي نظره العلم الذي جاء من قبل لمحاربة الأيديولوجيات الأخرى كسلطة الدين والمذاهب الفلسفية والسياسة أصبح اليوم هو أيضاً أيديولوجيا، ويقول في هذا: "العلم إنما هو أيديولوجيا ضمن أيديولوجيات متعددة" (فيرابند، 2000م، ص120).

ومنذ انطلاقة النهضة الأوروبية دخل العلم مضمار المنافسة مع باقي الأيديولوجيات باحثاً عن السطوة والهيمنة على المجتمع، شأنه شأن الكنيسة في العصور الوسطى. وإذا لم يتمكن العلم من أخذ المكانة والنفوذ في ذلك الحين فقد حاز اليوم على الدور الريادي، ليس لكونه عثر على الحقيقة ولا لنجاعة منهجه، ولكن لانتصاره لكل الأيديولوجيات، بما في ذلك الدين، بعد أن انتصر العلم في المنافسة، أصبح العلم هو الأيديولوجية المرتبطة دائماً بالتميز والتفوق. (مشاط، 2021م، ص291).

يعتبر فيرابند أن العلم قد تحول إلى نوع من الأيديولوجيا لأن مبادئه مبنية على أفكار خاطئة. هذه الأفكار تتضمن اعتقاد أن الخطاب العلمي هو الخطاب الوحيد المنطقي، وأن آراء العلماء هي الوحيدة الصحيحة والموثوقة. كما يفترض أن العلم والتكنولوجيا يمكنهما حل جميع مشكلات الإنسانية. ويشعر بالأسف لأن هذا الاعتقاد أصبح سائداً في الثقافة المعاصرة، حيث أصبح العلم يمثل أيديولوجيا. وقد عملت القوانين على حماية العلم ورفضت جميع أنواع المعرفة الأخرى، مما جعل العلم يبدو نشاطاً مميزاً ومتفوقاً على باقي الأنشطة البشرية. وهذا أدى إلى تزايد قوة العلم وسلطته، حيث أصبح يسيطر على جوانب عديدة من حياة الإنسان. لذا يجب علينا أن نضع حدوداً له قبل أن يؤثر سلباً على سلوك البشر ويتحكم فيه ، لأن العقلانية التي يتباهى بها العلم كثيراً ما تستخدم لاستعباد الناس (فيرابند، بلا ت، ص228). وإن كان العلم الذي ساد القرنين السابع عشر والثامن عشر أداة للتحرر والتنوير، فإن علم اليوم أصبح أداة للتدمير والخراب حين حول إلى

تقدّم المعرفة الموضوعية بالعالم، بقدر ما يرجع إلى عوامل مثل السياسة والخطابة والدعاية، توفي عام 1994م بعد أن ترك أثراً عميقاً ومثيراً للجدل في تاريخ وفلسفة العلوم. من أبرز مؤلفاته: ضد المنهج 1975م، العلم في مجتمع حر 1978م، أوراق فلسفية 1981م، وداعاً أيها العقل 1987م. (Blackburn , Simon , 1994, Second Edition , P133).



المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية

Algerian Journal of Historical and Legal Studies

الرقم الدولي: 1025-2437 I.S.S.N

الرقم الدولي التسلسلي الإلكتروني: 6510-2600 E.I.S.S.N

المجلد: 11 العدد: 01 - تاريخ النشر: 14 ماي 2026

الفوضوية في فلسفة العلم عند بول فيرابند ص (329 - 343)

م.م. نوزاد عبدالله محمد سعيد

أيديولوجيا، فالعلم هو الذي أدى إلى ابتكار كل أنواع اسلحة الدمار الشامل، وما يحدث في عالمنا الآن من حروب ومجازر وحصد لأرواح لآلاف البشر لدليل قاطع على ذلك، ويشير فيرابند إلى مفارقة غريبة في الخطاب الغربي تتمثل في هذا التناقض الذي يحمله فمن جهة يدعو إلى الديمقراطية التي تتميز بروح النقد وحرية الرأي والانفتاح، ومن جهة أخرى نجد أن المعمول به في الواقع على عكس ذلك، إذ تستطيع أن تنتقد ما نشاء وكيفما تشاء باستثناء العلم؛ لأنه يعتبر شيئاً مقدساً لا يمكن أن يطاله النقد. ويعطي لنا فيرابند نماذج من مفكرين غربيين انتقدوا كل المنظومات بما فيها الدين والأنظمة السياسية باستثناء العلم، وعلى سبيل المثال لا الحصر ليفي ستراوس . Levi Strauss (1908 - 2009)م الذي أظهر لنا أن الفكر الغربي ليس هو الإنجاز الأهم في التاريخ البشري كما كان يُقال من قبل. كما قام بانتقاد جميع المؤسسات التقليدية الغربية غير أنه استثنى العلم من ذلك (حسين، 2001م، ص138).

ويذهب بول فيرابند إلى أن العلم، والمنطق العلمي، وما يُسمّى بالرؤية الكونية العلمية، لا تتجاوز جميعها كونها (أسطورة علاقات عامة)، بل أنّها تشكّل جزءاً من الإشكال الذي يسعى إلى نقده ومعالجته، فالعلم في نظره لا يتحدث بصوت واحد، ولا يقدم رؤية كونية موحدة ومتماسكة، خلافاً لما تروّجه الخطابات السائدة، وما يعمل فيرابند على فضحه تحديداً، هو الأسطورة القائلة أن الحقيقة العلمية قادرة بذاتها على تقديم دليل كافٍ على واقع ذي معنى ذاتي، أما الآثار والتداعيات غير الإنسانية لمجتمع يستسلم لإغراء التنظير المجرد، فهي محل الإدانة الأساسية في مشروعه النقدي. ويرى فيرابند أن العلوم المختلفة . لا العلم بوصفه كياناً واحداً متعالياً. قادرة على توظيف النظرية في التعامل مع المشكلات الضاغطة، وهي تفعل ذلك بالفعل، ومن ثم فالعلوم في حد ذاتها ليست هي الخصم؛ لأنها تسهم في إنتاج حلول واقعية وفعّالة، غير أن الانخراط في ممارسة العلم داخل المجتمع المعاصر يظل له ثمنه؛ إذ يتعلّم العلماء . ضمن هذا السياق . تبني نموذج صارم من الموضوعية ومقاربة العالم بوصفه موضوعاً مجرداً، وبدلاً من اختبار ما يمكن أن يقدمه العالم الإنساني، وتسخير العلم لمساعدة الناس فعلياً، يشجّع النظام السائد على معالجة المشكلات معالجة نظرية، والنظر إلى المواقف الواقعية بوصفها احتمالات مجردة، بل والتعامل مع البشر أنفسهم كأشياء. وهنا تحديداً يكمن جوهر الإشكال الذي ينبه إليه فيرابند في كتابه طغيان العلم، وهو من أقوى أعماله في تحريض الفكر النقدي ، وفتح أفق الاعتراض على جملة من الخرافات المعاصرة المرتبة بصورة العلم وهيمنته (فيرابند . 25).

فيرابند يطالب بفلسفة جديدة وتوجه نقدي يهدف إلى تصحيح فكرة العلم. ينبغي ألا نراه كنظام معرفي مقدس يتطلب رفض كل ما هو مختلف عنه، بل يجب أن نعتبره نظاماً معرفياً يمكن أن ينمو ويتطور مع الأنظمة المعرفية الأخرى. من الضروري أن نسمح لجميع التقاليد بالنمو بحرية بجانب بعضها البعض. قد حصل العلم على التفوق والامتياز ليس لكونه أرقى من النشاطات الإنسانية الأخرى وإنما يعود ذلك إلى قرارات الساسة وأصحاب النفوذ لذا ينبغي فصله تماماً عن الدولة مثلما يعتبر الدين الآن منفصلاً عن الدولة (فيرابند، 120-121).



2. نقد فيرابند للمناهج العلمية التقليدية

يشن فيرابند حملةً عنيفةً ضدَّ العلم ورجاله، ودفاعاً حول المجتمع، يعتقد أنه في مجتمعٍ يتيح الحرية، توجد مساحة للعديد من الأفكار والمعتقدات والأنظمة الغربية. لكن، فكرة التفوق التي ترتبط بالعلم قد تجاوزت العلم نفسه وأصبحت مسألة إيمان عند معظم الناس. بالإضافة إلى ذلك، فقد أصبح العلم ليس نظاماً خاصاً، بل عنصراً أساسياً في هيكل المجتمع. (غرابند، 2000م، مقدمة المترجم، ص8).

إنَّ العلم ليس كياناً مقدساً على نحو مطلق؛ فمجرد كونه قائماً، أو كونه محل إعجاب وتقدير، لا يوفّر مبرراً كافياً لاتخاذ معياراً وحيداً للإمتياز أو التفوق المعرفي؛ ذلك أن العلم الحديث قد نشأ تاريخياً من اعتراضات جذرية على الأوضاع المعرفية السابقة، بل ومن نقد شامل للعقلانية ذاتها، وانبثق من التشكيك في وجود قواعد ومعايير يمكن أن تُدار بها شؤون الإنسان، بما في ذلك شؤون المعرفة، كما تأسس كذلك على اعتراضات قوية على الحس المشترك أو الإدراك الشائع كما يتجلى على سبيل المثال في موقف أكسينوفان من هومبروس، ومن هنا يطرح السؤال نفسه: هل ينبغي لنا أن نكف عن الارتباط بتلك النشاطات النقدية التي كانت أصلاً باعثة على نشوء العلم والعقلانية؟ أم نكتفي بالرضا بما آلت إليه نتائجها؟ وهل يصح افتراض أن كل ما أنجز بعد نيوتن - أو بعد فون نويمان - يُمثّل نموذجاً للكمال المعرفي؟ أم أنَّ الأجدر هو الإقرار بإمكان احتواء العلم الحديث على أخطاء بنيوية، أو حاجته إلى مراجعةٍ شاملة؟ وإذا سلّمنا بذلك، فكيف يمكن المضي قدماً؟ وكيف نحدد مواضع الخطأ، وننجز عملية التغيير؟ ألسنا في هذا السياق، بحاجة إلى معيار نقدي مستقل عن العلم، بل وربما متعارض معه، لتهيئة الشروط اللازمة لتغيير المنشود؟ وهل لا يؤدي الإصرار الدائم على رفض القواعد والمعايير التي تتعارض مع العلم إلى تعطيل امكانية العثور على مثل هذا المعيار؟ ثم إن بعض دراسات الحالة قد اظهرت أن التطبيق الصارم، أو العقلاني الخالص، للإجراءات المنهجية لم يفضِ إلى علم أفضل، ولا إلى عالم أحسن، بل لم يفضِ في بعض الأحيان إلى شيء ذي قيمة يذكر. ويبقى التساؤل قائماً حول الكيفية التي يمكن من خلالها الحكم على النتائج ذاتها. ومن ثم يتبيّن بوضوح أنه لا توجد وسيلة بسيطة لتوجيه الممارسة العلمية عبر قواعد جاهزة، أو لصياغة معايير نقدية للعقلانية انطلاقاً من الممارسة ذاتها (فيرابند، 2000م، ص25). فالعلم لم يعد مؤسسة خاصة، لكنها أصبحت الآن عنصراً رئيسياً في الديمقراطية، تماماً كما كانت الكنيسة سابقاً جزءاً أساسياً من هيكل المجتمع. رغم أن الكنيسة قد فصلت عن الحكومة بشكل تام، إلا أن الدولة والعلم ما زالا يعملان سوياً. حيث تُصرف أموال ضخمة. على تحسين الأفكار العلمية، على موضوعات زائفة، مثل فلسفة العلم التي تتشارك مع العلم اسمه فقط ولا شيء آخر بالكاد، مستفيدةً في ذلك من رواج العلوم، ولقد خضعت العلاقات الإنسانية للمعالجة العلمية كما هو مبين في برامج التعليم، واقتراحات لإصلاح السجن والتدريب العسكري، وهلم جرا. أما قوة المهنة الطبية فحدث ولا حرج، فقد سادت في كل مرحلة من مراحل حياتنا، بل لقد



تجاوزت بالفعل القوة التي كانت ذات يوم للكنيسة، كما أضحت جميع المواد العلمية تقريبا جبرية في مدارسنا. وبينما يكون في مقدور والدي طفل عمره ست سنوات أن يقررا تلقيه تعليماً في المبادئ الأولية للمذهب البروتستانتي، أو المبادئ الأولية للعقيدة اليهودية، أو حتى إلغاء التعليم الديني برمته، نجد أنهما ليس لدهما حرية مماثلة في أن يفعلا ذلك في ميدان العلوم، الإحلال بين أنماط معرفية متباينة؛ فلا يصح أن يحل السحر أو التنجيم، أو دراسة الأسطورة، محل ما يجب تعلمه من الفيزياء أو الفلك أو التاريخ، كما لا يكتفى بمجرد عرض تاريخي للحقائق والمبادئ الفلكية أو البيولوجية أو السوسولوجية، وغيرها، بصيغة محايدة تساوي بين المواقف المتعارضة، فلا يكفي مثلاً القول: إن بعض الناس يعتقدون بدوران الأرض حول الشمس، بينما يرى آخرون أن الأرض كرة مجوفة تحتوي الشمس والكواكب والنجوم، بل ينبغي الجزم بأن الأرض تدور حول الشمس، وأن ما عدا ذلك لا يعدوا كونه قولاً لغواً لا سند له، وتختلف الكيفية التي تقبل أو نرفض بها الأفكار العلمية اختلافاً جذرياً عن آليات اتخاذ القرار في النظم الديمقراطية؛ إذ أن القوانين والحقائق العلمية تُقبل وتُدرّس في المؤسسات التعليمية، وتُتخذ أساساً لقرارات قرارات سياسية مصيرية، من دون إخضاعها للفحص النقدي العام أو لآليات التصويت، صحيح إن بعض التطبيقات العلمية قد تُناقش، بل وقد تُطرح للتصويت كإنشاء مفاعل نووي مثلاً، غير أن هذا الإجراء لا ينسحب على النظريات العامة أو الحقائق العلمية ذاتها. ومن ثم فإن المجتمع الحديث يوصف بكونه (كوبرنيكياً) لا لأن نظرية كوبرنيكوس خضعت لنقاش ديمقراطي أو حازت أغلبية الأصوات، بل لأن العلماء أنفسهم يتبنون الرؤية الكوبرنيكية، ولأن الأفراد مطالبون بقبول هذا (العلم الكوني) قبولاً شبه مطلق، ويكشف هذا الوضع عن مفارقة لافتة؛ إذ يُقبل العلم المعاصر بالطريقة ذاتها التي فُرض بها العلم الكوني في عصور سابقة من قبل الأساقفة والكاردينالات، حتى إن المفكرين الجسورين والثوريين كثيراً ما ينحنون في نهاية المطاف، أمام سلة الرأي العلمي (فيرابند، 2000م، ص 88-89).

أ. نقد العقلانية التجريبية (الوضعية المنطقية)

ركزت الوضعية المنطقية على دراسة المعرفة البشرية واعتبرتها محصورة فقط في المعرفة العلمية. سعت إلى توحيد العلوم وتهدف إلى تحريرها من أي تأثيرات ميتافيزيقية في إطار مشروع واحد للعلم. اعتبرت أن العلم كيان متكامل يعتمد على أسس منطقية مترابطة ومنسجمة ويعتمد على قواعد ثابتة. لكن فيرابند قاد نقداً لهذا الرأي، حيث اعتبر أن العلم هو مشروع معقد وغير متسق يتأثر بعوامل أخرى غير موضوعية، مما يؤدي إلى وجود تناقضات فيه (فيرابند، 2005، ص 392). وقد اكتشف فيرابند ذلك من خلال الاستقصاء التاريخي للعلم، مؤكداً أن العلم غير مقيد بمنهج علمي محدد، فاتباع قواعد معينة والإلتزام بها في الممارسة العلمية يعيق التقدم العلمي خاصة تواجه فكرة المنهج، التي تحتوي على قواعد صارمة لإدارة العملية العلمية، صعوبة كبيرة عند التعامل مع نتائج الأبحاث التاريخية. (فيرابند، 2005م، ص 33).



يُوجه فيرابند نقده نحو المبادئ المنهجية التي تعتمد عليها الوضعية المنطقية، ومن أهم هذه المبادئ هو التمييز بين سياق الاكتشاف وسياق التبرير. كانت المناهج الإبستمولوجية السابقة لفيرابند تؤيد هذا المبدأ، حيث اعترفوا بعدم وجود وسيلة محددة لاكتشاف النظريات. لا توجد أبحاث منظمة وفعالة في مجال الاكتشاف، إذ تقع هذه الأبحاث ضمن نطاق الحدس والإلهام والتخمين، وجميعها مفاهيم يصعب تطبيق القوانين عليها أو حتى دراستها بطريقة منهجية. قد يكون منطق الاكتشاف غير عقلائي، لأنه يحتوي على عناصر ذات طابع شخصي، بينما يعتمد منطق التبرير على الملاحظة والتجريب، وتكون دراسته مشروعة ومهمة. (مشاط، 2021، 286). وهنا ينتقد الوضعية المنطقية في طرحها اللا تاريخي، لقد أهملت الأطر التاريخية التي تحيط بالمعرفة العلمية وركزت فقط على تبرير النظرية العلمية. ولكن لا يمكن اختصار العلم في إطار التبرير فقط. في هذا السياق، انتقد فيرابند فكرة الفروق بين سياق الاكتشاف وسياق التبرير. وقد أشار إلى أن "الفصل بين الاكتشاف والتبرير غير واقعي بالمرّة، فالاكتشاف لا يمكن أن يكون فقط نوعاً من العشوائية أو حلم بعيد، بل يتضمن الكثير من عناصر الاستدلال. وبالمثل، فإن التبرير لا يمكن أن يُعتبر دائماً عملية موضوعية بالكامل، لأنه يحتوي على العديد من العناصر الذاتية. (فيرابند، 1997م، ص 217).

فيرابند أبدع في توجيه انتقادات لأساسيات العقلانية التجريبية، خصوصاً في اعتقادها بأن العلم التجريبي هو جوهر كل معرفة. لم يكتف بإنكار الفارق بين سياق الكشف وسياق التبرير، بل أظهر كذلك عدم وجود فرق بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية. فكل العلوم، مهما كان تنوعها، تُعتبر نشاطات بشرية، كما أن العلوم الإنسانية تتضمن معارف لا يمكن تجاهلها. هذه المعرفة تعزز من خياراتنا، وتوسع مجالات البحث، وتساعدنا في فهم العالم بشكل أفضل. (مشاط، 2021، 290).

ب. نقد العقلانية النقدية

قدّم فيرابند نقده لكارل بوبر. Carl Popper (1902 - 1994)م من خلال مبدأ (القابلية للتكذيب)، الذي كان في بداية مشواره متأثراً به، فهو الشخص الذي كان يعتقد أنه لا يوجد مسار سريع لتحقيق النجاح، بل نتعلم من خلال التجربة والخطأ، أصبح بسرعة معارض لـ (بوبر) لخصم له (الخولي، 2000م، ص 425). ونرى هذا التأثير جلياً من خلال النقد الذي وجهه بوبر للوضعية المنطقية والمنهج الاستقرائي، إذ أولت العقلانية النقدية البوبرية أو ما عرف بـ (منطق الكشف العلمي) اهتماماً بالغاً للنقد طريقة جديدة، من خلال الانفتاح على جميع الاقتراحات الممكنة لحل القضايا العلمية. وقد عبر بوبر عن ذلك بقوله: "نحن بحاجة إلى الآخرين لتقييم أفكارنا ومعرفة أي منها هو الصحيح" (مذبوح، 2011م، ص 17). هذه الرؤية تشبه الأفكار التي قدمها فيرابند، حيث يشجع أيضاً على الانفتاح على جميع التقاليد ومنح الفرصة للجميع ليشتركوا في تطور العلم ونموه. وأول خطوة منهجية في رؤية بوبر هي إلغاء الحماية عن النظريات العلمية، بصرف النظر عن المبادئ أو القواعد التي تستند إليها، لأنها لا يمكن أن تكون مصدراً للثقة. "وشروط المعرفة العلمية الموضوعية تجعل



ذلك حتمياً بقاء كل فرض علمي ضرورة وأبداً. معطى على سبيل المحاولة" (مذبوح، 2002م، ص71). لكن هذا الإنهيار الذي أبداه فيرابند لفلسفة بوير، لم يستمر طويلاً وتحول إلى دحض معتبراً أن منهجه ساذج وفلسفته دوغمائية، فالكثير من النظريات لا تقبل التكذيب بالطريقة التي يصفها بوير (فيرابند، بلا ت، ص19).

ويسترشد فيرابند بتاريخ العلم ليؤكد عدم جدوى التفنيد البويري، وذلك من خلال انتهاك غاليليو . Galileo (1564) . (1642م) لتكذيبات النظرية الكوبرنيكية، والنظريات العلمية لا تتطور عن طريق التكذيب، فالتكذيب الصارم يقضي على العلم ولا يسمح له بالإنطلاق (فيرابند، 2005م، ص246).

بناءً على ما سبق، وقف فيرابند موقف الناقد للعقلانية النقدية واصفاً إياها بأنها مجرد تخمينات وهمية، وأن المعايير التي قدمها بوير ليست لها أية قيمة أو فائدة بالنسبة للعلم معتبراً تكذيبيته مظلمة ومتناقضة حتى مع تاريخ العلم، "لا يمكن لمنهج التخمين والتنفيذ أن يتغلب على الصعوبات التي تواجه المذهب الاستقرائي، فليس ثمة منهج واحد يصلح في جميع الأحوال" (السيد، 1996م، ص123). فيرابند يسعى من خلال هذا الطرح لإظهار أن المعرفة لا يمكن أن تقتصر على منهج واحد، بل هي متعددة الأنواع والأشكال، كما أنها نسبية وليست مطلقة. ويشير إلى أن المعرفة العلمية ليست مجرد توقعات أو ردود فعل، فالتاريخ يُظهر لنا أن العلماء غالباً ما يتجاهلون الحالات الغريبة أو غير المتوقعة، والتي يمكن أن تُعتبر عمليات دحض أو تكذيب. حتى وإن وُجدت مثل هذه الحالات، فهي تبقى استثناءات في العلم ولا تؤدي إلى استبعاد النظرية العلمية. لذلك، ليس من المنطقي رفض النظرية بأكملها فقط لأن هناك دليلاً سلبياً واحداً. ويستمر فيرابند في انتقاده لآراء بوير، حيث يؤكد أن قواعد بوير المنهجية لا تساهم في تطور العلم، بل تعيقه، لأن التأكيد على مبدأ الدحض الصارم قد يقضي على العلم ويمنعه من التقدم (فيرابند، 2000 ، ص264).

ثانياً: مفهوم الفوضوية في فلسفة فيرابند

1. الفوضوية بوصفها منهجاً علمياً

الفوضوية هي كلمة مستمدة من اللفظ اليوناني (avapxia) (علي، 1990م، ص276) والتي تعني غياب الحاكم أو الملك أو الرئيس. تمثل هذه الكلمة ترجمة لاتينية هي "أناركية" (Anarchia) التي تتكون من جزئين: الأول (an) يدل على النفي أو العكس، والآخر (Archia) يشير إلى السلطة. وبالتالي، الترجمة الحرفية تعني غياب السلطة أو عدم النظام أو عدم وجود حكومة (فرانك، 2004م، ص25).

تُعرف الفوضوية في المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة بأنها "فكر اجتماعي مأخوذ من كلمة إغريقية تدل على (عدم الحكومة)، وهو الفكر الذي يعارض وجود الحكومات ويطالب بإنشاء مؤسسات اجتماعية واقتصادية بناءً على اختيار ورغبة الأفراد" (الحفني، 2000م، ص624). كما تعتبر الفوضوية نظرية سياسية تستند إلى تعاون الأفراد والمجموعات بشكل اختياري، حيث تبنى العلاقات على أسس من الحرية الفردية (توفيق، 2001م، ص435).

حسب المعجم الفلسفي لجميل صليبا، الفوضى (Anarchie) هي الحالة التي تحدث حين يفقد الحكم تأثيره، أو عندما لا يقوم بدوره بشكل صحيح، أو بسبب تصادم الرغبات والتوجهات، أو قلة التنظيم، وهي تعبر عن غياب النظام والترتيب (صليبا،



المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية

Algerian Journal of Historical and Legal Studies

الرقم الدولي: 1025-2437 I.S.S.N

الرقم الدولي التسلسلي الإلكتروني: 6510-2600 E.I.S.S.N

المجلد: 11 العدد: 01 - تاريخ النشر: 14 ماي 2026

الفوضوية في فلسفة العلم عند بول فيرابند (ص 329 - 343)

م.م. نوزاد عبدالله محمد سعيد

1979م، ج2، ص168). تم تعريف الفوضوية في قاموس الفلسفة بأنها حالة شعب لا يحكمه أي سلطات، مع الإشارة إلى تعريف أفلاطون، حيث تمثل الفوضى شريحة ضيقة من الديمقراطية؛ إذ يسعى كل فرد لتقديم إرادته للسلطة، بينما تسعى تلك السلطة لتحقيق مصلحة الجميع، مما يؤدي إلى الفوضى. الفوضوية تحمل معنيين: الأول هو المفهوم الضيق الذي يُشير إلى نظرية المجتمع الذي لا يتمتع بسلطة حكومية، والثاني هو المفهوم الواسع الذي يعني أن المجتمع لا يخضع لأي إكراه من أي سلطة في مختلف المجالات: الحكومة، العمل، الصناعة، التجارة، الدين، التربية، والأسرة.

وبما أن الفوضوية السياسية تعني الرفض القاطع لأي نظام ودولة، وتُ advocate for الحرية إذ تعتبر أن القوانين والأطر الحكومية تشكل عقبة أمام الأفراد، فإن نفس الفكرة تُطبقها فيرابند على العلوم، معتبراً أنه ينبغي ألا يُقيد العلم بأساليب معينة. يتبين ذلك من خلال كتابه "ضد المنهج" مسودة تمهيدية لنظرية فوضوية في المعرفة"، حيث ينقل لنا اهتمامه بنموذج فوضوي يناقش فيه غياب منهج محدد للبحث العلمي، مؤمناً بوجود طرق متنوعة لا حصر لها، وكل طريقة لها أهميتها، وينكر بذلك إمكانية وجود منهج علمي موضوعي يُميز العلوم. وهو يعتقد أنه إذا وُجد تقدم في العلوم، فإنه سيكون نتيجة لتحطيم جميع القواعد التي يمكن تصورها للعقلانية.

يوضح فيرابند سبب اختياره لمصطلح الفوضوية كأساس لفلسفته العلمية، موضحاً أنه يعني السعي نحو زيادة الحرية من جميع القيود، سواء كانت علمية أو اجتماعية أو سياسية، لتحقيق حياة كاملة وقيمة، ولم يتحقق ذلك إلا برفض المعايير الشاملة والنظم الصارمة، بما في ذلك قوانين المنهج العلمي والعقل، ويقول عن الفوضوية: "الفوضويون المحترفون يعارضون أي شكل من القيود ويطالبون بأن يتاح للفرد الفرصة للتطور بحرية، دون أن تعيقه القوانين أو الالتزامات"، فهم يلتزمون بالرؤية بعيداً عن المعايير التي يفرضها العلماء.

يعتبر فيرابند أن الفوضوية توفر مساحة للجميع للتعبير عن آرائهم واقتراحاتهم في تكوين العلم دون تهميش أو استبعاد، مما يُعزز من تطور العلم. يقول: "نظريتي تتمثل في أن الفوضوية تساهم في تحقيق أي نوع من التقدم الذي يختاره الأفراد، وحتى العلم الذي يعمل وفق قوانين معينة سينجح فقط إذا تم السماح بحدوث مراحل فوضوية بين الحين والآخر." يدل فيرابند بـ "الخطوات الفوضوية" على جميع المحاولات التي يقوم بها الأفراد، نتيجة لتجارب حياتهم المتنوعة عبر فترات زمنية مختلفة. ويشمل هذا التراكم التقليد الاجتماعي من دين وفن وأسطورة وكل جوانب الحياة البشرية من تصورات وأفكار ورؤى. لذلك، اختار الشعار "كل شيء جائز" ليعبر عن تقبله لجميع التجارب والمحاولات. تسهم الفوضوية في التقدم العلمي من خلال قدرتها على استيعاب العوامل المختلفة والمتنوعة التي تتكون منها المعرفة، بغض النظر عن اختلاف معانيها ومناهجها. فعلم النظام والقانون لا يحقق نجاحه إلا بقدر ما يسمح باندماج الممارسات غير المنضبطة، والمعروفة بالحركات الفوضوية، في مساره التطوري. لذا، فإن الادعاء بوجود عقلانية علمية معينة تخضع لمنهج واحد ثابت يفتقر إلى الأسس المعرفية السليمة، ويبدو هذا الادعاء تبسيطياً إذا نظرنا إليه في سياق تاريخ العلم الغني بالأحداث والتجارب التي كثيراً ما تناقض التصورات المنهجية التي يدافع عنها مؤيدو العقلانية العلمية. يقول فيرابند: "من الواضح أن التعاون المثمر بين العلم والرؤى العالمية غير العلمية سيحتاج إلى الفوضوية أكثر مما يحتاجها العلم نفسه، لذلك، ليس الفوضوية ممكنة فقط، بل هي ضرورية للتقدم الداخلي للعلم وتطوير ثقافتنا بشكل عام" (فيرابند، 2005، ص 270).



ويؤكد فيرابند أنّ الفوضوية التي يُدافع عنها تتّسم بطابع إنسانيّ واضح، إذ تقوم على مبدأ الحرية الفردية في التفكير بما يراه الإنسان معقولاً وفق خبرته وسياقه، لا وفق ما يُفرض عليه من معايير جاهزة أو قواعد مسبقة، وبهذا المعنى، يتبنّى فيرابند موقفاً إنسانياً يُؤكّد أن الكائنات البشرية فاعلة وحرّة في اختياراتها المعرفية، ومُتمتعة بالحرية، بالمعنى الذي نجدهُ عند جون ستيوارت مل . John Stuart Mill (1806 . 1873)م، حيث تُعد حرية الفكر شرطاً أساسياً للإبداع والتقدّم، لا عائقاً ينبغي تقييده باسم المنهج أو العقلانية الصارمة (شالمز، 1991م، ص142).

تنطلقُ الفوضوية من رفضٍ جذري لجميع أشكال القمع، وذلك عبر تجاوز القيود والعوائق التي تحول دون تحقيق حرية الأفراد وسعادتهم، كما تقف موقفاً نقدياً حازماً من كل ادعاء باحتكار الحقيقة بالاستناد إلى نمط معيّن من العقلانية والتي توصف بالعلمية، ووفقاً لذلك تعد جميع وجهات النظر مشروعة ومقبولة، إذ أن كلاً منها يُعبّر عن الواقع بطريقته الخاصة، دون امكانية وصفها باللاعلمية؛ وذلك لغياب معيار محايد ومستقل يمكن الإحتكام إليه للحكم على علمية المعرفة من عدمها، ومن ثم، فإنّ إتاحة المجال أمام مختلف الأفكار للظهور والتداول لا يُعد تهديداً للعلم، بل شرطاً أساسياً لتقدّمه وتطوّره، فكلما اتسع أفق التعدّد، ازدادت إمكانيات التطور والنماء المعرفي، وإن رفض فيرابند لهذه العقلانيات نابع من تأثره بالمذهب المعروف في الفن باسم (الدائنية): الحركة الثقافية التي ظهرت في سويسرا، والتي ترفض كل ما هو تقليدي، وتتبنّى الفوضى (الرفض) يتأثر أكثر بالفوضى السياسية، حيث يسعى الفوضوي السياسي إلى تدمير أو إزالة جانب معين من الحياة يتعلق بالسلطة. بينما الفوضوي الإبيستمولوجي يدافع عن هذه السلطة، فهو لا يتمتع بولاء دائم أو نفور دائم تجاه بعض المؤسسات والأيدولوجيات، مهما كانت، على غرار البدائي الذي لا يمتلك برنامجاً فكرياً محدداً، وهو ضد جميع البرامج (Feyerabend, 1996, P4).

يشرح فيرابند الفوضوية التي يفضلها، والتي تتماشى مع (الدائنية) وليست الفوضوية السياسية، التي يعتبرها سلبية بطبيعتها. يقول: "عند استخدامي لمصطلح الفوضوية، جئْتُ ببساطة التوجه العام. ومع ذلك، فإن الفوضوية كما تم تنفيذها في الماضي وكما تُمارس اليوم، تحمل خصائص لا أستطيع دعمها أو تأييدها. الفوضوية لا تعني بحياة البشرية وسعادتها، سوى حياة وسعادة المنتمين إلى مجموعة معينة. لهذا، أفضل استخدام مصطلح (الدائنية)، حيث يسمح الدائي للإنسان أن يواصل مسيرته دون الانجذاب نحو أي مشروع ثابت" (فيرابند، 2005 ، 28).

يشير فيرابند إلى الفوضوية في المناهج، مشيراً إلى أنه لا يوجد منهج واحد يمكن التأكيد على أنه الأفضل للإبداع العلمي. ولذلك، فهو يشجع على التعدد المنهجي استناداً إلى شعاره المفضل (كل شيء يصلح). الفوضوية المنهجية وما يتعلق بها من علم فوضوي تمثل معاً نظرية المعرفة المثلى.

ترتكز فوضوية فيرابند على الرفض التام لكل أنواع السلطة المعرفية التي تمارس من قبل أصحاب الاتجاهات العقلانية. كما "ترفض بشدة تعيين السلطة المعرفية لمنهج معين أو لعقلانية خاصة، بل ترفض تعيين السلطة المعرفية للعلم ذاته،



حيث يرى أن العلم يتقدم من خلال فتح مجالات البحث والمعرفة لتفجير الطاقات الإبداعية في ظل تنوع المناهج، وليس عبر الالتزام بمنهج معين. لذا، فالعلم ليس نظاماً معرفياً مقدساً، بل هو نظام عقلائي يجب أن ينمو أو يزدهر ويتطور ضمن بيئة الأنظمة المعرفية الأخرى" (السيد، 1996 ، ص 26).

2. الدعوة إلى التعددية المنهجية

تأثرت فلسفة العلم بشكل كبير في النصف الثاني من القرن العشرين بالتقدم العلمي، خصوصاً بالثورات العلمية، مما دفع الفلاسفة المعاصرين للعودة إلى دراسة العديد من الأسس النظرية والمنهجية التي كانت سائدة لقرون، والتي اعتبرت من المسلمات التي لا تقبل النقاش. كان مفهوم المنهج أكثر المفاهيم عرضة لهذه المراجعة. يمكننا أن نقول إن فيرابند كان من أكثر الفلاسفة تأثيراً في هذا التحول الذي شهدته فلسفة العلم الحديثة، حيث قام بنقد حاد للمنهج العلمي وثورته عليه، والذي كان دائماً موضع دفاع من التيارات الفلسفية. قدم لنا رؤية جديدة للعلم وعمل على إعادة التفكير فيه وفي علاقته بغيره من المعارف، مما جعله يثور ضد جميع النظريات المعروفة في حقل الفلسفة العلمية. زعزع ثقته في كل ما هو مطلق وثابت في العلم، فكان معارضاً لجميع المناهج، ورفض اقتناعاً منه بأن البحث العلمي يجب أن يتبع منهجاً محدداً بسبب ما يشهده من تنوع منهجي (مشاط، 2021م، ص 285). تتسم التعددية المنهجية في فلسفة العلم الحديثة بعدة جوانب، من أبرزها أن العلم يمكن أن يتحقق دون الحاجة إلى خبرة علمية معينة أو الالتزام بقواعد منهجية محددة. بفضل هذه التعددية، أصبح العلم يتسم بطابعه الإنساني والاجتماعي، مما يساعد على تحقيق التقدم العلمي والتطور (قطب، 2008م، ص 13-14).

يسلط فيرابند الضوء على نوع من التعددية التي تحتفي بتنوع الآراء والبدايل النظرية المتعددة. وهذه الأفكار والنظريات المختلفة يمكن أن تضيف إلينا وتحسن معرفتنا (حمدان، 2014م، ص 163). بمعنى آخر، فهي تدعم مختلف أشكال المعرفة التي قد تعطي لنا وجهات نظر جديدة تفيد البحث العلمي. أصبح العلم يتقدم من خلال استخدام هذه المعارف وما تقدمه من أفكار جديدة، دون التقييد بطريقة واحدة فقط. كما يقول فيرابند: "اليوم، ينبغي علينا ممارسة العلم دون أن نكون ملزمين بمنهج علمي محدد، رغم وجود معايير. ولكن هذه المعايير تنبع من عملية البحث نفسها، وليست من آراء عقلانية مجردة" (فيرابند، 2000م، ص 113).

في هذا السياق، يسعى فيرابند لتفكيك المفاهيم التقليدية بفلسفة العلم الحديثة عبر انتقاده للمنهجية والمعايير التي يتبناها العلماء في أبحاثهم. يرى أن هذه المعايير تساهم في تقييد الحرية الفردية وتعوق تقدم العلم (قطب، 2008م، ص 45).

يرفض فيرابند فكرة المنهج الوحيد، ويتساءل عن إمكانية تحديد مفهوم المنهج بشكل دقيق. وقد شرح هذا بشكل موسع في كتابه المعروف (ضد المنهج)، حيث يؤكد أن العلم في أي مرحلة من تاريخه لم يكن خاضعاً لمنهج محدد أو لقواعد ثابتة. هو عبارة عن مشروع (أناركي) بمعناه الحقيقي، أي أنه لا يعترف بأي سلطة منهجية مطلقة. من وجهة نظره، فإن جميع المناهج يمكن استخدامها وتعتبر مشروعة، وهذا يتماشى مع شعاره الشهير "كل شيء مقبول". صلاحية أي منهج تقاس



بعدد مطابقتها مع طبيعة المشكلة المعنية وقدرتها على المساهمة في حلها وثرء المعرفة العلمية بإضافات جديدة (الخولي، 2020 ، 119).

المعرفة التي يسعى إليها فيرابند ليست مجموعة من النظريات المتوافقة التي تهدف للوصول إلى الحقيقة (حمدان، 2014 ، 164). كما يقول: "العقلانية التي أبحث عنها لا تعني تحقيق نظرية مثالية، إنما توسيع دائرة البدائل، واستخدام كل النظريات حتى تلك التي تراجعت وأصبحت منسية، لأنها قد تحتوي على عناصر قيمة تقيّد معرفتنا" (قطب، 2008 ، 44). بمعنى آخر، لم يكن فيرابند يسعى لتأسيس نظرية مثالية خاصة به مثلما يفعل بعض العلماء عند اكتشاف أفكار جديدة، بل أراد دمج العلم مع مختلف المعارف الإنسانية الأخرى، كونه ظاهرة اجتماعية وإنسانية. يجب أن يستفيد العلم من هذه المعارف لتعزيز تقدم مستمر، مستفيداً من نظريات وأفكار جديدة ومتنوعة تعزز من تقدمه.

لذلك، ينكربول فيرابند سلطة المعرفة التي يمنحها المنهج العلمي المتفرد. فهو يعتقد أن العلم "لا يمكن أن يعتمد على منهج واحد فقط، لأنه نظام عقلائي يجب أن يتطور ويزدهر بين أنظمة المعرفة الأخرى. يمثل العلم نوعاً من المعرفة البشرية، وغني بالتفرع لدرجة أن جميع المناهج يمكن أن تعود بالنفع عليه، وكلها فعالة طالما تساهم في حل المشكلات المطروحة. ويعتبر هذا التنوع ضرورياً من أجل الابتكار والتقدم في العلم" (الخولي، 2020 ، 119).

يمكننا أن نرى أن دعوة فيرابند إلى تنوع المناهج، ورفض المنهج الواحد، تتشابه جزئياً مع آراء بعض فلاسفة العلم المعاصرين مثل (توماس كون . مايكل بولاني . غاستون باشلار)، ولكن موقف فيرابند يختلف بشكل أكبر لأنه أكثر تميزاً وثورية تجاه المنهج العلمي (حمدان، 2014 ، 164). يمكننا تسليط الضوء على آراء هؤلاء الفلاسفة كما يلي:

لقد عارض توماس كون (. Thomas Kuhn 1922 . 1996)م وجود قواعد أو معايير من خارج العلم تُحدد ممارسته، حيث إن هذه القواعد تتطور وتخضع للنقد والفحص من خلال البحث نفسه. بينما يرى مايكل بولاني . Michael Polanyi (1891 . 1976)م أن الالتزام بمنهج واحد فقط يحد من نشاط المعرفة الإنسانية. فهو يؤكد أنه لا يوجد إطار معرفي واحد يمكن اعتباره عقلانياً وموضوعياً. لكل عالم رؤيته الخاصة ومعرفته الشخصية. وبالتالي، فإن الإبداع لا ينشأ من اتباع منهج ثابت، بل يأتي من التخمين والخيال. المعايير تتطور وتتغير من خلال البحث، وليس عبر وجهات نظر عقلانية مجردة (فيرابند، 2000 ، 114).

كما نلاحظ أن غاستون باشلار (1884 . 1962)م أيضاً يعارض وجود منهج علمي موحد يمكن تطبيقه على جميع العلوم والمعارف، لأن كل تقدم في الفكر العلمي أو تجربة جديدة قادرة على تغيير الفكر العلمي بالكامل وليس المناهج فحسب. فلكل علم منهجه الخاص ومفاهيمه التي تناسب المرحلة التي يمر بها هذا العلم. لذا، فإن أي حديث حول المنهج العلمي سيكون دائماً ضمن سياق معين ولن يتصف بنموذج نهائي (حمدان، 2014م، ص 165).

يتفق هؤلاء الفلاسفة مع فيرابند في بعض النقاط، مثل عدم وجود منهج علمي واحد يناسب جميع العلوم، لأن المناهج تتنوع حسب مجالات العلم. ويمثل هذا التنوع أحد الخصائص الأساسية للعلم التي تضمن استمراريته. ومع ذلك، يبقى طرح فيرابند فريداً ومتميزاً سواء فيما يتعلق بأفكاره أو في تناوله لمشكلة سير منطق العلم.



الخاتمة

شكلت فلسفة بول فيرابند إحدى أكثر الأطروحات جرأة في تاريخ فلسفة العلم، حيث دعت إلى زعزعة الأسس التقليدية التي طالما هيمنت على الممارسة العلمية، مثل الالتزام الصارم بمنهج واحد أو الإيمان بوجود معايير علمية مطلقة، إذ رأى فيرابند أن العلم لا يمكن أن يكون نشاطاً إنسانياً مزدهراً إلا إذا تخلص من القيود التي تفرضها العقلانية الصارمة، واحتضن التعددية المنهجية التي تسمح بالتنوع والإبداع.

ومن أبرز النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث:

1. قدّم فيرابند نقداً جوهرياً لمفهوم المنهج العلمي بوصفه إطاراً صارماً يحكم البحث العلمي، وأكد أن هذا المفهوم التقليدي يحدّ من الإبداع والابتكار، داعياً إلى التعددية المنهجية التي تمنح حرية أكبر للباحثين في اختيار الأدوات والأساليب المناسبة لحل المشكلات العلمية.

2. اقترح فيرابند الفوضوية الإستمولوجية كمنهج بديل يتسم بالمرونة والشمولية، حيث يرى أن جميع الأساليب المعرفية صالحة طالما تسهم في تقدم المعرفة. وقد دعا إلى عدم تفضيل منهج معين على الآخر بشكل مطلق، وترك الباب مفتوحاً لتجريب أساليب متعددة.

3. قدّم فيرابند نقداً لاذعاً للعقلانية التقليدية، خاصة فيما يتعلق بالتمييز بين سياق الكشف وسياق التبرير، واعتبر أن هذا الفصل غير واقعي ويعكس نظرة مختزلة للعملية العلمية، كما أكد أن العلم لا يمكن أن يكون محايداً تماماً، بل يتأثر بالسياقات الثقافية والتاريخية.

4. أن فلسفة فيرابند تدعو إلى النظر إلى العلم بوصفه جزءاً من منظومة معرفية أوسع تشمل الدين، والفن، والأسطورة، ورفض فكرة أن العلم هو الشكل الوحيد للمعرفة الصالحة، مؤكداً أهمية الاعتراف بمشروعية أنماط أخرى من التفكير الإنساني.

5. أن التعددية المنهجية التي دعا إليها فيرابند تمثل أحد أهم إسهاماته، إذ توفر مجالاً للإبداع والتنوع في الحلول العلمية، وتبرز أهمية هذه الفكرة في مواجهة التحديات المعاصرة التي تتطلب دمج معارف متعددة وتخصصات متنوعة.

6. أن فيرابند لم يكن معادياً للعلم بحد ذاته، بل كان ناقداً للمؤسسات العلمية التي تحولت إلى كيانات بيروقراطية تفرض قيوداً على حرية البحث والتفكير، واعتبر أن هذه المؤسسات يجب أن تكون أكثر انفتاحاً على الأفكار الجديدة وغير التقليدية.



المصادر والمراجع

أولاً: المعاجم والموسوعات

1. تد، هوندترتش، دليل أكسفورد للفلسفة، ج2، تر: نجيب الحصادي، المكتبة الوطنية للبحث والتطوير، ليبيا، بلا ط، بلا ت.
2. توفيق، موسى خليل، معجم معاصر، دار الإرشاد للنشر، ط1، 2001م.
3. الحنفي، عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مديوني، القاهرة، ط3، 2000م.
4. صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتب اللبنانية، بيروت، لبنان، بلا ط، 1979م.
5. علي، نور، قاموس عربي يوناني، مكتبة لبنان، بيروت، بلا ط، 1990م.
6. فرانك، بيلى، معجم بلاكبول للعلوم السياسية، ترونشر: مركز الخليج للأبحاث، ط1، 2004م.

ثانياً: المصادر والمراجع باللغة العربية

1. حسين، علي، العلم والايديولوجيا بين الإطلاق والنسبية، التنوير للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، بلا ط، 2001م.
2. الخولي، يمنى طريف، فلسفة العلم في القرن العشرين: الأصول - الحصاد - الآفاق المستقبلية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، بلا ط، 2000م.
3. الخولي، يمنى طريف، مفهوم المنهج العلمي، مؤسسة هنداي، بلا ط، 2020م.
4. السيد، محمد احمد، التمييز بين العلم واللاعلم: دراسة في مشكلة المنهج العلمي، منشأة المعارف، الاسكندرية، بلا ط، 1996م.
5. شالمز، آلان، نظريات العلم، تر: الحسين سحبان وفؤاد الصفا، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991م.
6. فيرابند، بول، العلم في المجتمع حر، تر: السيد نفاذي، المشروع القومي للترجمة، بلا ط، 2000م.
7. فيرابند، بول، ثلاث محاورات في المعرفة، تر: محمد احمد السيد، منشأة المعارف، الاسكندرية، بلا ط، بلا ت.
8. فيرابند، بول، ضد المنهج، تر: ماهر عبد القادر محمد علي، طبعة للطالب، الاسكندرية، 2005م.
9. فيرابند، بول، طغيان العلم: ما العلم؟ وما حدوده وأدواته؟، ترونشر: مركز دلائل، المملكة العربية السعودية، ط1، 1438هـ.
10. فيرابند، بول، ثلاث محاورات في المعرفة، تر: محمد احمد السيد، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، بلا ط، 1997م.
11. قطب، خالد، التعددية المنهجية، المكتبة الاكاديمية، القاهرة، ط1، 2008م.
12. مذبوح، لخضر، فلسفة كارل بوبر، دار الألمعية للنشر والتوزيع، بلا ط، 2011م.



ثالثاً: المصادر والمراجع باللغة الأنكليزية

- 1) Blackburn, Simon, Oxford Dictionary Of Philosophy, Soeton Public Library, Second Edition, Oxford University Press, 1994.
- 2) Feyerabend, Paul, These sur lanarchisme epistemologique, (revue alliage numero 28, 1996).
- 3) Didier, Julia, Dictionnaire de la philosophie, Larousse, Librairie Larousse paris 1964.

رابعاً: البحوث والمجلات والرسائل الجامعية والمواقع الإلكترونية

1. حمدان، بوصالحيج، العقلانية العلمية المعاصرة وانتقاداتها: بول فيرابند أنموذجاً، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2014م.
2. مذبح، لخضر، فكرة التفتح في فلسفة كارل بوبر، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2002م.
3. مشاط، حياة، الظاهرة العلمية عند بول فيرابند، مجلة الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، م: 13، ع: 1، الجزائر، 2021م.
4. الموسوعة العربية الإلكترونية، <https://mail.arab-ency.com.sy/details/2262>.